نظرة إسلامية حول

عاشوراء

العلامة المرجع
السيد محمد حسين فضل الله (دام ظله)

دار الملاك

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

بيروت - لبنان - حارة حريك - قرب مستشفى الساحل - هاتف: ٠٣/٧٥٥٢٠٠ - ٠١/٤٥٠٧٦٩
ص. ب ٢٥/١٥٨ الغبيري - Int: WWW. dar-almalak. com/Email: dam @ dar-almalak.com

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وسلام على عباده الذين اصطفى.

وبعد، فإن عاشوراء مدرسة في توازن شخصية الإنسان المسلم، لأنها تجسد له كل معاني العظمة في شخصياتها، في علاقتهم بالله، وفي روحياتهم الفياضة خُلُقاً نبوياً مع بعضهم البعض وتجاه أعدائهم، وفي ترسيخهم للمفاهيم الإسلامية، سواء على المستوى السياسي في مسألة الحكم، أو على المستوى الديني عموماً، تلك المفاهيم التي أصابها الصدأ في عقول الناس فلم تعد

تمنحهم وضوح الرؤية لطبيعة الواقع، مما يمكن أن يتكرر في كل عصر بأكثر من شكل وصورة؛ ، لأن التاريخ يعيد نفسه فيما هو الصراع الدائم بين الحق والباطل، ما يجعل من عاشوراء الذكرى - مسؤوليةً للقدوة، ومنطلقاً للحركة، ومعيناً للاستلهام. . ولذلك أراد أئمة أهل البيت عليهم السلام لعاشوراء أن تستمر في مدى الزمن، لتكون الشجرة النبوية التي تؤتي أكلها في كل قضايا الإنسان المصيرية.

وقد أدخل الناس في عاشوراء كثيراً من العادات، وساهم تقادم الزمن في تجميد بعض عناصرها، فغدت في بعض المراحل طقوساً جامدة لا تحرّك الوجدان أمام الظلم، وأصبحت في بعض مواقعها حركة لتعذيب الذات، لا لإنتاج إنسانيتها، وجعل فيها البعض فرصة لإثارة النعرات المذهبية وتنفيساً عن الأحقاد التاريخية، وما إلى ذلك مما يتعارض مع قداسة الذكرى وصاحبها، ولا ينسجم مع الصفة الإسلامية التي تطل على

الجميع من موقع الطهر والصفاء والإخلاص.

وعلى هذا الأساس انطلق سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله ومنذ ما يزيد عن الخمسين عاماً ليؤصّل الفكر في عاشوراء كما العاطفة، وليؤكد عنوانها الإسلامي الذي يدعو كل فرق المسلمين للاستفادة في دروسها وعِبرها لما ينفع حاضرهم ومستقبلهم، وليجتمع المسلمون حول الحسين عليه السلام إماماً ورمزاً من رموز الوحدة الإسلامية في الحركة والموقف، رافضاً - سماحته - كل أشكال التحجيم والتقزيم لهذه المناسبة العظيمة، مستنكراً كل الأساليب المنافية لقداستها، والمتعارضة مع الاحكام الشرعية، والمشوهة لصورة الإسلام الناصع في خط أهل البيت عليهم السلام في أعين الناس.

لفت سماحته إلى ضرورة تطوير التجارب التمثيلية لعاشوراء، سواء في الانتاج المسرحي أو السينمائي أو غيرهما، من أجل

الافساح في المجال لأن تطل عاشوراء على أكبر شريحة من الناس بقدرة تأثير أكبر، عاكسةً لكل المشاهد الصادقة المعبّرة عن العمق الإسلامي الإنساني لعاشوراء.

ومن رحم تلك الأحاديث التي اطلقها سماحته وعياً وفكراً وروحاً والتي جمع بعضها فيَ كتابي «من وحي عاشوراء» و«حديث عاشوراء» جمع نجله السيد جعفر بعضاً من تلك الأفكار وألف فيما بينها من خلال ربطها بمحور واحد، وهو إعطاء صورة متكاملة - نسبياً - لذكرى عاشوراء في مبرراتها، وفي عنوانها وصفتها، وفي وسائل إحيائها، وفي التنظير لمسألة العاطفة والفكر في إحياء القضية الحسينية، فكان هذا الكتاب الصغير حجماً والكبير من حيث الهدف المنشود منه، والذي نسأل الله سبحانه أن ينفع به أنه سميع مجيب.

الناشر

لماذا الاستغراق في الماضي؟

قد يتساءل البعض: ما هو مبرّر إثارة ذكرى عاشوراء في كلّ عام بالنحو الذي يستثير البكاء والحزن على واقعة مضى عليها أكثر من ثلاثة عشر قرناً؟، فإنّ أيّ تاريخ لا بدّ أن يحتوي الكثير من المآسي الخاضعة لظروفها الموضوعيّة، إنْ في دائرة الصراع بين خطّين أو في نطاق حركة الأقوياء ضدّ المستضعفين، ما يجعل من مسألة المأساة التاريخيّة أمراً طبيعيّاً يجب التعامل معه على هذا الأساس.

وقد يعتبر بعضٌ آخر أنّ عاشوراء عنصر إثارة للحساسيّات المذهبيّة، خصوصاً وأنّ السياق التاريخي لإحياء الذكرى جعلها قضيّة

شيعيّة موجّهة ضدّ السنّة، باعتبار أنّ السنّة يحترمون بني أميّة، ما يجعل الحديث عن هؤلاء بشكل سلبيّ - تفرضه طبيعة الإحياء - قد يترك نتائج سلبيّة على واقع الوحدة الإسلامية، أو على واقع السلم الإسلامي العام.

أمام هذين الطرحين يمكن إبراز ملاحظتين:

أوّلًا: حضاريّة إحياء التاريخ

إن مسألة استعادة التاريخ عن طريق إحياء ذكراه هو أمر إنسانيّ حضاري تحافظ عليه الشعوب والمجتمعات على اختلاف اتّجاهاتها وثقافاتها، حيث نجد العالم كلّه يحتفل في كلّ سنة بذكرى قد تتّصل بانتصار وطنيّ أو قومي في معركة قد ترقى إلى مئات السنين، أو بمأساة قد تكون نتيجة صراع اجتماعيّ أو سياسيّ يرقى إلى عشرات أو مئات السنين، وليست احتفالات الاستقلال التي تحييها

الدول إلا شاهد ودليل على تجذّر هذا السلوك في الوجدان الإنسانيّ العام.

ثمّ إنّ الحاضر - في كلّ مواقعه - لا يعيش انفصالاً عن التاريخ، حيث نجد أنّ الإنسان الذي يحاول أن يؤكّد نفسه ويؤصّل مرحلته ويركّز خطواته في الاتجاه الذي يريده في تقدّمه وتطوّره، يشعر بأنّ في التاريخ نقاطاً مضيئة تبقى حاجة لكلّ مرحلة يعيش فيها نوعاً معيّناً من الظلام، أو أنّ فيها درساً يرتبط بالحياة كلها ولا يقف عند مرحلة معيّنة، أو لأنّ هناك حاجةً إلى نوع من أنواع الإثارة التي لا يجد الإنسان عناصرها الحيوية في الحاضر فيحاول أن يجتذبها من خلال التاريخ.. كلّ ذلك يجعل من مسألة استعادة التاريخ أمراً حيوياً ذا فوائد كثيرة في حياة الإنسان، ولعلّ هذا الأمر هو ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1]، والذي يؤكّد على أنّ قيمة

(١) سورة يوسف، الآية ١١١.

التاريخ في الإسلام هي قيمة العِبرة التي تفتح الحدث على الفكرة، وترصد الثوابت التي لا تخضع في خصوصيّاتها للفترة الزمنيّة، بل تشمل كلّ خطوط الزمن من خلال أنّها خصوصيّات الحياة كلّها. . وهذا هو الأمر عينه الذي يجعلنا نرتبط بأشخاص التاريخ ورجاله، خصوصاً من كان منهم في المواقع القيادية للإسلام؛ لأنّ حركتهم ليست حركة اللحظة التي عاشوا فيها، بل هي حركة الرسالة المتجسّدة في خطواتهم الفكرية والروحية والعملية.

وعلى ضوء ذلك فإنّ مسألة إحياء ذكريات الماضي التي تطلّ على الحاضر والمستقبل من خلال العِبرة والموعظة والدرس ليست مسألة ضدّ الحضاريّة، بل تنطلق من عمق الحضارة الإنسانيّة فيما هي قيمة حركة الإنسان في صنع التاريخ، وإنّ أمّة لا تعيش ذكرى تاريخها هي أمّة لا تعيش روحيّة الامتداد في المستقبل.

ثانياً: عاشوراء ليست فئوية

إنّ القاعدة الإسلاميّة القرآنيّة تركّز على أنّ الماضي هو مسؤوليّة الذين عاشوه وصنعوه، سواء في الدوائر السلبيّة أو الإيجابيّة، وذلك قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]، فليس المجد التأريخي مجداً لنا بالمعنى الحركيّ للمجد، بل هو مجد الذي صنعوه، وعلينا - في الوقت عينه - أن لا نحمّل الآخرين مسؤولية سلبيات التاريخ فيما هو التوزيع بين فريق وفريق، يرتبط أحدهما بفئة تاريخية تصارعت مع فئة أخرى يرتبط بها الفريق الآخر.

وعلى هذا الأساس لا يتحمّل الشيعة - في الحاضر - مسؤولية بعض السلبيّات التي عاشت في دائرة الخلاف السنّي الشيعي في الماضي، ولا نحمّل السنّة المعاصرين

(١) سورة البقرة، الآية ١٤١.

مسؤوليّة ما جرى على الشيعة سلبيّاً من قِبَل الذين التزموا المذهب السنّي في التاريخ؛ بل إنّ الشيعة والسنّة اليومَ يعيشون عصراً واحداً ومرحلة واحدة، وهم مسؤولون عن حركتهم فيها، في الوقت الذي تبقى هناك وجهات نظر في فهم الإسلام وحركيّته، أو في تقديس هذا أو ذاك، مما يمكن أن يتحاور الجميع فيها من خلال آليّات الحوار.

وعلى ضوء ذلك فإنّ من الخطأ اعتبار عاشوراء مناسبةً موجّهةً ضدّ السنّة من قبل الشيعة، خصوصاً وأنّ يزيد لا يمثّل قيمة إسلاميّة سنّية ليُعتبر رفضه ضدّ القيمة، كما أنّ من الخطأ الانطلاق في إحيائها على هذا الأساس، فإنّ عاشوراء هي قضيّة إسلاميّة بامتياز تعني المسلمين جميعاً، وليس المعنيّ بها فريق دون آخر.

وفي هذا الإطار نحبّ أن نشير إلى الأسلوب العقلاني الذي ركّزه القرآن الكريم في إدارة حركة الاختلاف، والذي يقوم على

اللقاء على النقاط المشتركة والحوار في ما اختُلف فيه، لكي تكون عاشوراء حركة في الوعي، لا حركة في الانفعال؛ لأنّ الإنسان عندما يفكّر فإنّه يستطيع أن يفهم الواقع والأرض التي يقف عليها، والأجواء التي تحيط به، والأوضاع السياسية التي تتحرّك في العالم وتؤثّر فيه. أمّا الانفعال فإنّه يجعلك تتحمّس من دون أن تملك حتى موقعك أو إرادتك أو موقفك. نعم، نحن نحتاج إلى الحماس والانفعال، ونحتاج إلى أن نهتف ونصرخ، ولكن - قبل ذلك - لا بدّ أن نفهم لماذا نتحمّس ونصرخ ونهتف.

إنّ العاقل لا بدّ أن يفكّر في نتائج الكلمة قبل أن يطلقها، وفي أهداف العمل قبل أن يتحرّك فيه، ولا يمارس حركة الخلاف من خلال السبّ واللعن على أساس تفجير الغيظ وتنفيس الحقد.. والسؤال هنا: عندما يفجّر الشيعيّ غيظه ويسبّ مقدّسات السنّة، فهل سيتحوّل السنّي إلى التشيّع؟، وهل عندما

يفجّر السنّي غيظه فينال من مقدّسات الشيعة يكون في خطّ الدعوة إلى فكره وعقيدته؟ والله سبحانه قد ركّز لنا خطّ التعاطي مع مقدسات أي فريق من الناس، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾[1]، فإذا سببتَ مقدسات الآخر فإنه سينطلق بردّ فعل ليسبّ مقدساتك. وقد استلهم الإمام عليّ عليه السلام هذه الآية وهو يوجّه نقده لبعض جيشه وقد سمعهم يسبّون أهل الشام الذين أتوا لحربهم[2]، فقال: «إنّي

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٠٨.

(٢) مع أن حالة الحرب تسمح بطبيعتها بنوع من التعبئة النفسية السلبية ضد الخصم مما يجعل الحماس على الحرب أقوى وأشدّ؛ ولكن الحرب لم تكن عنده مزاجاً، بل حركة لتقويم الاعوجاج والانحراف عندما لا تنفع سائر الوسائل، ولذلك قال: «فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي، وتعشو إلى ضوئي، وذلك أحبُّ=

أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنّكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم لكان أصوب في القول وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبّكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم حتى يعرف الحقّ من جهله ويرعوي عن الغيّ والعدوان من لهج به»[١].

إنّ علينا إن ننطلق في خطّ الوحدة الإسلامية التي لا تعني أن يتنازل كل فريق عن قناعاته، بل تعني أن يلتقي المسلمون جميعاً على ما اتّفقوا عليه، ويتعاونوا في القضايا المشتركة، ويتحاوروا في القضايا التي يختلفون فيها بطريقة علمية موضوعيّة، خصوصاً عندما يعيشون في مناطق مشتركة

=إلي من أن أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء بآثامها» [نهج البلاغة الخطبة ٥٥ وقد استبطأ أصحابه اذنه لهم في القتال بصفّين].

(١) الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، نهج البلاغة، من كلام له وقد سمع قوماً من أصحابه يسبّون أهل الشام أيّام حربهم بصفّين، تحت رقم ٢٠٦.

تمثّل نوعاً من خطوط التماس المذهبية بشكل وبآخر، حيث قد ينطلق البعض ليجعلوا من بعض المناسبات - كعاشوراء - مسائل لإثارة النعرات المذهبيّة.

ولذلك حرّمنا - من موقعنا الفقهيّ - على كلّ إنسان أن يرفع أيّ شعار يثير الحساسيّات المذهبية، أو يتكلّم بأيّة كلمة تصبّ في ذلك الاتّجاه، مع المحافظة على أسلوب الحوار والجدال بالتي هي أحسن؛ لأنّنا نريد أن ننطلق جميعاً من أجل قوّة الإسلام، خصوصاً في المراحل التي تمرّ بها أمّتنا، والتي هي من أخطر المراحل على الإسلام والمسلمين في العالم أياً كانت مذاهبهم واتجاهاتهم.

أسلمة عاشوراء

لا نريد من طرح هذا العنوان الإيهام بأنّ عاشوراء تفتقد الصفة الإسلاميّة؛ بل نريد التأكيد على أنّ القضيّة الحسينية هي قضيّة إسلاميّة عامّة، وليست قضيّة مذهبيّة خاصّة.

لقد انطلقت كربلاء على أساس العناوين الإسلامية، وتمثّل ذلك في الطروحات التي أطلقها الحسين عليه السلام كعنوان عريض لحركته، وفي المواقف التي تجسّدت خلال المسيرة الحسينية حتى الشهادة.

كان عنوان الحركة هو الإصلاح في أمّة رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك في قول الحسين عليه السلام: «إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»،

على أساس قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1]، ومن الأمر بالمعروف أمر الظالم به، ومن النهي عن المنكر نهي الظالم عنه، ولو بالثورة في وجهه؛ لأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يكونان بالكلمة وقد يكونان بالموقف وقد يكونان بممارسة القوّة بحسب ما تفرضه طبيعة الظروف والنتائج. وقد رفض الحسين عليه السلام البيعة على أساس البرنامج الذي ركّزه الإسلام لصورة الحاكم الإسلامي والخليفة، فقال: «أيّها الناس إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلّاً لحُرم الله، ناكثاً بعهده، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان... فلم يغيّر ما عليه بقول ولا بفعل، كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله»، وكان هذا هو خطّ النظرية، أمّا خطّ التطبيق فأكّده بقوله: «ألا وإنّ هؤلاء القوم قد لزموا

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطّلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غيّر»[١]، وقال في بعض كلماته وهو يؤكّد موقع العزّة ومعناها في شخصيّة الإنسان المؤمن: «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ لكم إقرار العبيد»[٢]، وقال: «ألا وإن الدعي ابن الدعيّ قد تركني بين اثنتين: بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، أبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون..»[٣].

هذه هي بعض شعاراته، وعندما ندرسها نجد - بوضوح - أنّها ليست شعارات المرحلة التي كان يعيش فيها لتكون المسألة مجرّد مسألة غارقة في التاريخ، كما أنها ليست شعارات مذهبية فئوية، ولكنّها شعارت الحياة كلّها، وشعارات الإسلام في كلّ

(١) تاريخ الطبري، ج٣، ص ٣٠٧.
(٢) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٧، باب ٣٧.
(٣) المصدر نفسه، ص ٨٣، باب ٣٧، رواية ١٠.

مواقعه.. فمن منّا لا يلمح الإفساد والفساد السياسي على مستوى الحاكم والمحكوم وحركة الحكم؟ ومن منّا لا يرى الإفساد والفساد على مستوى الاستكبار العالمي والإقليمي والمحلّي في كلّ ما يريده الاستكبار من مصادرة لقضايانا المصيرية؟، ومن منّا لا يجد أنّ الواقع يعمل على إفساد الأخلاق الفردية والاجتماعية في داخل الفرد المسلم والمجتمع والأمّة المسلمة، من خلال من يريدون المتاجرة بالأخلاق؟، ومن منّا لم يرفض الواقع الذي يترك فيه الكثيرون من المسلمين عبادة الله، ويتركون فيه الصدق والأمانة والعفّة والوفاء وما إلى ذلك من أصول الأخلاق الإسلامية في الوقت الذي يشهدون فيه أن «لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله»؟، ومن منّا لا يرفض الكثير من مظاهر الانحراف في حياتنا، والعلاقات الممزّقة، والفتن التي تتحرّك على مستوى الأفراد والعوائل والأحزاب والطوائف الإسلامية وما إلى ذلك؟ ومن منّا لا يرى في

العزّة القيمة الكبرى على المستوى الفردي أو الاجتماعي؟

كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام ثورة خاسرة من الناحية العسكرية، لكنّها صدمت الواقع وهزّت قواعده لكي تركّز الخطّ الأصيل الذي يحفظ الحياة الإسلامية، ويؤكّد العدل في داخلها؛ لأنّ الواقع كان قد وصَلَ إلى مرحلة استرخى فيها تحت تأثير حكم يزيد، ولذلك انطلق الناس وهم يحبّون الحسين ليُحاربوه.. وبذلك كان الوضع الإسلاميّ مهيّأً لأنْ يستمرّ الظلم فيه، ويحرّك الناس كلّهم في مواجهة كلّ دعوة للحقّ، وتؤدّي مجاري الأمور إلى تقديم الكفر للناس باسم الإسلام..

ومن هنا فإنّ الحسين عليه السلام يمثّل خطّاً ومنهجاً وتجسيداً حيّاً للقيم الإسلامية والإنسانية في العزة والكرامة والمحافظة على استقامة المسيرة التي جعلها الله أمانة في أعناقنا جميعاً، وفي محاربة الظلم والفساد،

في كلّ عصر، أياً كانت العناوين التي يأخذها الظلم، أو الألوان التي يتزيّن بها الفساد، ويؤكد على أن الإصلاح في أمّة رسول الله مسؤوليّة كلّ فرد من أفراد هذه الأمّة، كلّ بحسب دوره وإمكاناته في كلّ المجالات. وفي كل ذلك كان يستهدي جدّه رسول الله ﷺ الذي حذر المسلمين من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنذرهم أنّهم سيقعون - في هذه الحال - في مصائب كثيرة وبلايا عديدة، فقال: «لتأمرنّ بالمعروف ولتنهُنَّ عن المنكر أو ليسلّطنّ الله شراركم على خياركم فيدعو خياركم فلا يُستجاب لهم»[1].

السياسة أساس في حركة الأديان:

وإذا كان هناك بعض الذين يعتبرون أن

(١) بحار الأنوار، ج٩٠، ص ٣٧٨، باب ٢٤، حديث ٢١.

قضايا العدل والظلم وتقويم الحاكم وتغيير النظام من الأمور السياسية التي لا علاقة للدين بها، وأن على الدين أن ينأى - بطهارته وقدسيته - بعيداً عن مثل هذه القضايا، فإنّنا نجد أنّ القرآن يركّز على أنّ السياسة أساس في حركة الرسالات، وذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[1] ما يعني أنّ حركة الدين - أيّ دين - تنطلق من إرادة الله سبحانه إقامة العدل بين الناس، فالله لم ينزّل علينا الدين لينظّم لنا أوضاعنا في الآخرة، وإنّما أنزله لتنظيم حياتنا في الدنيا التي جعلها الله داراً لحركتنا، وأراد للإنسان أن يكون خليفته الذي يحكم بين الناس بالعدل..

إن الّدين هو انطلاقة عدل في حركة الإنسان الفردية والاجتماعية والسياسية والأمنية والاقتصادية وغيرها؛ ولذلك لم يأمر

(١) سورة الحديد، الآية ٢٥.

الله في القرآن بشيء كما أمر بالعدل، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾[١]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾[٢]، وقال: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ[٣] قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٤]، حتى أنّ الإسلام طلب العدالة حتى مع الكافرين، فقال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾[٥].

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٢.
(٢) سورة النساء، الآية ١٣٥.
(٣) الشنآن هي العداوة.
(٤) سورة المائدة، الآية ٨.
(٥) سورة الممتحنة، الآيتان ٨ و٩.

العاطفة في عاشوراء

يثير الكثيرون الجدل حول مبرّر الإصرار على مسألة العاطفة في عاشوراء والتي تتمثّل في عدّة مستويات:

أ - المضمون الفكري الذي يحرّك كلّ العناصر المثيرة للحزن في مفردات القضيّة بالطريقة التي تستنزف الدموع بشكل مثير.

ب - الأسلوب الفنّي البكائي المستغرق في اللحن الحزين الشجيّ والذي يوزّع عناصر الإثارة في كل أنغامه وتقاطيعه.

ت - الممارسات الحادّة المعبّرة عن صراخ الذات في تأثّرها بالمأساة وانفعالها بقضاياها المؤلمة، وذلك بالبكاء العنيف أو

لطم الصدور، أو ضرب الظهور بالسلاسل، أو جرح الرؤوس بالسيوف، أو غير ذلك مما اعتاد عليه فريق من الناس.

كل ذلك قد يجعل البعض يدعون إلى الاقتصار على الجانب الفكري والثقافي في عاشوراء من أجل استلهام قيم عاشوراء على قاعدة العقل والفكر، وإلغاء الطرق التقليدية في إحيائها والتي أصبحت تحمل الكثير من السلبيّات سواء على الذهنية الشعبية في طريقة إحيائها للذكرى، أو على المستوى المذهبي فيما قد يثيره الإحياء في حساسيات مذهبية.

ولمعالجة هذا الطرح الذي يختزن عدداً من القضايا لا بد من الوقوف على عدّة نقاط:

الأولى: ضرورة المحافظة على العاطفة

إنّ مسألة العاطفة هي من المسائل ذات الأهمّية الكبرى في إحياء عاشوراء والتي يجب المحافظة عليها، وذلك لعدّة أسباب:

١ - العاطفة هي من الخصوصيّات الذاتية للذكرى؛ لأنّ مضمون عاشوراء بطبيعته

مأساويّ حزين، والفصل بين إثارة الذكرى في وعي الناس وبين الأسلوب العاطفي يعني إبعاد الشيء عن ذاته وإفقاده أهمّ عنصر من عناصر حيويّته.

٢ - العاطفة تتيح للذكرى الاستمرار في الحياة من خلال تأثيرها في الشعور الإنساني، ما يؤصّل علاقة عاطفيّة للناس بأصحاب الذكرى، تماماً كما هي العلاقة بين الإنسان وبين من يحبّ في انفعاله العفويّ بالمآسي التي تصيبه في نفسه وأهله، الأمر الذي يحقّق النتائج الإيجابية الكبيرة في البُعد الإنساني الذاتي في انفتاحه على البعد الحركيّ في الشعور، مما يؤدّي إلى نتائج مماثلة في البُعد الإسلامي الحركي في الواقع المعاصر للإنسان.

٣ - الإسلوب العاطفيّ يمثّل لوناً من ألوان التربية الشعوريّة، مما يحوّل القضيّة إلى قضيّة متّصلة بالذات، تماماً كما لو كانت قضيّة من قضايا الحاضر. وهذا ما نلاحظه في المسيرة

التقليدية لحركة الإنسان في ارتباطه بالمعاني الدينية، فإننا نجد الجانب الشعوري هو الذي يترك الإنسان في حالة استنفار دائم لتحريك تلك المعاني في الواقع وحمايتها بمواجهة كلّ التحدّيات المثارة ضدّها من قبل الآخرين، تماماً كما لو كانت التحرّكات المضادّة موجهّة نحو مسألة شخصيّة. وهذا ما يجعل من المسائل الدينية والمذهبية مسائلَ حسّاسة في ساحة الصراع.

٤ - تفريغ عاشوراء من العاطفة والاكتفاء بالمضمون الفكريّ لها يجعل القضيّة جامدة جافّة في الوعي الإنساني، ككل القضايا التاريخية المتّصلة بالصراع بين الحقّ والباطل التي يتجاوزها الزمن؛ لأنّ قضايا الصراع الكثيرة التي يحتكّ بها الإنسان في حاضره قد تحمل الكثير من المشاكل الضاغطة على الفكر والشعور بالمستوى الذي لا يجد فيه الإنسان فراغاً للاستغراق في التاريخ، فيؤدّي ذلك - تدريجياً - إلى نسيان القضيّة وإهمالها

إلا في الحالات الطارئة التي قد تدفع ببعض قضايا التاريخ إلى الواقع في عملية إثارة سريعة لا تلبث أن تذوب - بعد ذلك - في غمار الواقع الخطير الضاغط على الإنسان.

كلّ ذلك يحتّم أن تكون قضيّة عاشوراء مغسولة بالعاطفة فيما لو أريد لها أن تستمرّ في وجدان الأجيال المتعاقبة، وإن سلخ العاطفة عن عاشوراء يعني تحويلها إلى مجرد قضية من قضايا الصراع التاريخية التي تبقى في إطار الكتب أو في إطار الإحياء الجامد.

الثانية: الفكر إلى جنب العاطفة

ولكن مع تأكيدنا على أهمّية العاطفة في عاشوراء فإنّ هناك بعض السلبيّات الناجمة عن الاقتصار على عنصر العاطفة والمأساة في مقابل الجانب الفكري، الأمر الذي يجعل من الضروري الموازنة بين الجانب الفكري والعاطفي، فلا يطغى فيها جانب على آخر، وذلك لأسباب عديدة نوردها في نقاط:

أ - إنّ المسألة الفكرية مرتبطة بالهدف

الكبير الذي انطلقت من أجله عاشوراء، وهي قضيّة التغيير والحياة والإنسان من خلال كلّ العناصر المتنوّعة التي تختزنها الثورة الحسينية، مما يجعلها منفتحة على الحاضر والمستقبل؛ فإنّ الحسين عليه السلام لم ينطلق في ثورته على الواقع الجائر لكي نبكي عليه، بل خرج من أجل الإصلاح والتغيير. نعم، العاطفة هي نتيجة من نتائج الثورة حاول من خلالها أئمّة أهل البيت عليهم السلام أن يُبقوا القضيّة حيّة في شعور الإنسان المسلم على امتداد الزمن بحيث تتحوّل إلى مسألة تتصل بالضمير الإنسانيّ في علاقة الحاضر بالتاريخ، وفرقٌ بين أن تكون العاطفة هدف الثورة وبين أن تكون وسيلة من وسائل بقائها على المستوى الوجداني.

ب - إنّ القضيّة الحسينية ليست من القضايا الإنسانيّة الذاتية التي تتمحور حول الذات، بل هي من القضايا الإسلامية الكبيرة الخاضعة للعناوين العامة المتّصلة بالمسؤولية

الشرعية من جهة، وبالخط السياسي الثوري من جهة أخرى، ولذلك فإنّ التركيز على العاطفة - بعيداً عن العقل - يبتعد بها عن الطابع الإسلامي العام، ويحوّلها إلى الطابع الذاتي؛ لأنّ الاستغراق في المأساة بالطريقة البكائية يملأ النفس بالكثير من الدخان العاطفي الذي يمنع وضوح الرؤية في النظر إلى العناصر الحقيقية المتمثّلة في طبيعتها العامّة، حتى أنّ الارتباط بالشخصيّات القيادية الإسلامية قد يتحوّل إلى ارتباط شخصي متّصل بالجوانب الذاتية في صفاتها الخاصة ومستغرق في التقليد الجامد الذي قد يبدو فيه البكاء - وأمثاله من الأساليب العاطفية - شيئاً يتكلّفه الإنسان ليكون نوعاً من أنواع التباكي الذي قد يلتقي بالصورة في معنى الحزن أكثر مما يرتبط بالمضمون، وقد يتحوّل إلى حالة من التنفيس عن الآلام الذاتية التي يختزنها الإنسان في حياته الخاصّة أكثر من التفاعل الجدّي بالقضيّة التاريخية.

ج - إنّ العنصر التقليدي في إثارة الذكرى قد يحوّل القضيّة إلى طقوس دينية عاديّة لا تحمل أيّ مضامين فكرية، سواء على المستوى السياسي في أبعاد الثورة، أو على المستوى الحركي الإسلامي، حتى ربّما لاحظنا - في واقعنا المعاصر - الطغاة المنحرفين من السياسيّين الشيعة يقيمون الذكرى بالأساليب العاطفية باعتبارها إحدى التقاليد الشيعية العريقة، ولا يسمحون لقارئ السيرة الحسينية أن يتجاوز المسألة العاطفيّة إلى المسألة السياسية..

د - إنّ عدم الأخذ بالمنهج العلمي الفكري في دراسة القضيّة الحسينية قد يؤدّي إلى تشويه المفاهيم الصافية للثورة الحسينية، سواء انطلقت من طبيعة الثورة بشكل مباشر أو استفيدت بشكل غير مباشر من المواقف التي وقفها أبطال كربلاء مما نقلته لنا كتب السيرة. فقد يتنافى ما قد يطرحه قرّاء العزاء مع المفاهيم الإسلامية الأصيلة، أو يبتعد عن

خطّ التوازن في دائرة التصوّر، أو يحصر الذكرى في دائرة معيّنة تنطلق بها العصبيّات العائليّة بعيداً عن المشاعر والأفكار الرسالية، وغير ذلك، مما ينعكس سلباً على الذهنية الشعبية العامة التي قد تختزن هذه المفاهيم التي تنفذ إلى منطقة الشعور من خلال الدموع والآلام التي قد تعمّق المضمون الفكري والشعوري في كلّ مواقع الإثارة في الذات، وهذه النقطة مما سنتعرّض لها بشيء من التفصيل في عنوان مستقلّ إن شاء الله[1].

هـ - إنّ إبعاد الفكر عن عاشوراء قد يكون أحد أسباب بعض الاتجاهات الخاطئة المتمثّلة في عدم الموافقة على اعتبار النهج الحسيني، في مواجهة الباطل والحاكم المنحرف، نهجاً إسلاميّاً عامّاً يتحرّك به المسلمون، بل تعتبره نهجاً حسينياً خاصّاً ينطلق من الخصوصيّات الحسينية الذاتية فيما هي شخصيّة

(١) راجع عنوان: المضمون العاشورائي.

الحسين عليه السلام الخاصّة في صفته الإمامية، وذلك على أساس أنّ الاستغراق في الجانب الشخصي للمأساة جعل الارتباط بالحسين عليه السلام ارتباطاً ذاتياً يتّصل بشخصه ولا يتّصل برسالته، وبذلك كفّت عاشوراء لدى هؤلاء عن معنى القدوة مما يمكن استلهامه في الحركة للأجيال الإسلامية المتلاحقة.

و - إنّ التأكيد على الجانب الفكري للذكرى يسمح لنا بالاستفادة منها من خلال تحديد الخطوط الفكرية والحركيّة والفقهيّة المتّصلة بالسيرة الحسينية في الشكل والمضمون؛ لأنّ في عاشوراء الكثير من المضامين الفكرية والفقهيّة التي يجبّ التوفّر على مفرداتها بالتحليل العلمي الدقيق، ما يحوّل عاشوراء إلى محطّة للتخطيط الدقيق للمسألة الإسلامية على مستوى المستقبل القريب والبعيد، ليكون الإسلام هو القاعدة للفكر وللعاطفة والحياة.

ز - إن عدم الاعتناء بالجانب الفكري لعاشوراء يفوّت علينا منبراً للدعوة الإسلامية؛ لأنّ المنبر الحسيني يجتذب الجماهير الإسلامية اجتذاباً تقليدياً، الأمر الذي يمنح الدعاة الكثير من الفرص للنفاذ إلى عقول الناس وقلوبهم من خلال العنوان الإسلامي الكبير للذكرى، فيدفعهم ذلك إلى الانفتاح على إسلام الفكرة والحركة والثورة من خلال انفتاحهم على الحسين عليه السلام الذي يمثّل التجسيد الحيّ لذلك كلّه، فتكون الذكرى - بذلك - مدرسة إسلاميّة شعبيّة متنوّعة الأبعاد والأساليب، ووسيلة من وسائل الدعوة إلى الإسلام.

ح - إنّ إطلاق العاطفة بمعزل عن العقل قد يؤدّي إلى تكرار المأساة التي عاشها الحسين عليه السلام؛ لأن مأساته عليه السلام لم تكن في فقدان المسلمين للعاطفة تجاهه، فقد كانت كلّ قلوبهم تخفق بحبّه، لكنّه كان حبّاً أعمى سطحيّاً، ولم ينطلق من عمق المعرفة

والإرادة والمعاناة، ولذلك عندما تطلّب الأمر منهم التضحية بالمزاج أو المصلحة أو المال انطلق الحبّ بعيداً، وتقدّمت المصلحة والمزاج، وقد عبّر الفرزدق عن حالة أهل الكوفة الذين خرجوا لقتال الحسين عليه السلام بقوله: «قلوب الناس معك وأسيافهم عليك»[1]. ونحن نحتاج إلى أن نحبّ الحسين عليه السلام بوعي وعقل ومعاناة، لا مجرّد حبّ سطحيّ انفعاليّ أعمى لا يلبث أن يجمد عندما يصطدم بالواقع ويعيش التحدّي، وهذا يتطلب الوعي لكل المضامين التي انطلقت من خلالها عاشوراء والتي هي مضامين الإسلام.

أمام هذه النقاط التي تجعل من الجانب الفكري في إحياء الذكرى أمراً حيوياً وضرورياً، وأمام ما تقدّم من ضرورة المحافظة - بقوّة - على العنصر العاطفي في عاشوراء نعود لنؤكّد أنّ المسألة العاطفيّة هي

---

(١) الارشاد للشيخ المفيد، ج٢، ص٦٧، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

مسألة إنسانيّة الأبعاد، إسلاميّة الروح، غنيّة المؤثّرات، كثيرة المعطيات، تمنح الفكر حرارته وحيويّته، وتخرجه من جموده، وتقوده إلى النشاط والحركة، وتخرجه من حالة فكرية جامدة ليدخل في حالة إيمانيّة وجدانيّة، وهي تزيد الإنسان ارتباطاً بمواقعها واتصالاً بقضاياها، مما يجعل الحالة الفكرية - في خصوصيّات المبدأ والشخص والموقف - حالةً قريبة من الشعور، منفتحةً على الوجدان بحيث يمنحها ذلك بعضاً من القوة والانفتاح والثبات في النفس والامتداد في الواقع.

كما نشدد على أن التزواج بين الحالة العاطفية والحالة الفكرية هو الذي يحقّق للرسالة مضمونها العميق في وعي الإنسان وحركته، وبذلك تتطوّر الفكرة إلى إيمان من خلال الفكر المنفتح على الشعور، ويتطوّر الإيمان إلى حبّ أو بغض من خلال انفتاح العقل على القلب. وهذا ما نستوحيه من

الحديث عن الحبّ لأولياء الله والبغض لأعدائه في الالتزام الإيمانيّ للمسلم، باعتبارهما دليلًا على الجدية والإخلاص، فإنّ الملحوظ أنّ الغاية هنا - وهي العناوين التي انطلقت على أساسها عاشوراء - تلتقي بالوسيلة المتصلة بطريقة إحياء الذكرى ووسائلها، وأنّ المضمون يتحرّك في دائرة الالتزام في الواقع.

ونعود لنقول: إن علينا أن نربي قلوبنا كما نربي عقولنا، وذلك بأن نربي قلوبنا بثقافة العاطفة؛ لأن القلب عندما يخطئ الاتجاه الصحيح في العاطفة فقد يدمّر حياة الإنسان، فإذا انطلقنا من سطحية في حبنا، فمنحناه لمن لا يستحقه فربما يكون في داخل من أحببناه خبث دفين يدمّر لنا حياتنا في المستقبل، وعندما نبغض إنساناً لا على أساس العناصر الموضوعية للبغض، فربما يكون في هذا الإنسان عنصر طيّب في العمق في الوقت الذي يحرمنا بغضنا له من أن نتلمس لحياتنا

مواقع الطيب في نفسه..

إن علينا أن نرشّد عواطفنا لتنبض على أساس الوعي، وتنطلق من العمق لا من السطح، لا أن تكون عاطفة مجنونة، أو عاطفة تعيش الطفولة وتتحرك على طريقة الأطفال.

الثالثة: تطوير أساليب إحياء الذكرى

وإذا كان المطلوب من العاطفة هو ضمان استمرارية عاشوراء وإبقاء حرارتها مع تقادم الزمن، وتعميقها على مستوى الشعور الإنساني، فإنّ من الضروري أن نبقى في دراسة دائمة لأساليب الذكرى؛ لأنّ الإنسان يتنوّع في مؤثّراته تبعاً لتطوّر ثقافته وذهنيّته.. وبتعبير آخر: إنّ الذهنيّة لغة، فإذا كانت الذهنيّات تختلف وتتطوّر، فهذا يعني أنّ المؤثّرات لا بد وأن تتناسب مع الذهنيّة المخاطَبَة، فربّما كانت بعض الإثارات خاضعة لمرحلة معيّنة، فلا تصلح لتحريكها في الواقع في مرحلة أخرى، وربّما كانت

المسألة متّصلة بمستوى ثقافيّ متدنٍّ في تأثّره بأسلوب معيّن، فلا يكون عنصراً للإثارة في مستوى ثقافي متقدّم.. وربما نلاحظ هذه المسألة في بعض مفردات الشعر الحسيني، العامّي والفصيح، التي انطلقت من العادات العشائريّة في حثّ النساء للرجال لتحريك حماستهم ونخوتهم وحركتهم، فإنّنا لو طرحنا مثل هذه المفردات في مجتمع ثقافي آخر، فإنّنا لا نجده يتأثّر بذلك؛ لأنّ الحالة الثقافيّة قد طوّرت حركة العاطفة كما طوّرت حركة الفكر عنده[1].

وعلى ضوء ذلك لا بدّ لنا من الوقوف على عدّة نقاط أساسيّة:

---

(١) لا ينبغي التوهّم هنا أن الحديث بصدد والتوهين من تلك التجارب، بل بصدد الإشارة إلى أن تلك التجارب قد تخدم القضية الحسينية في مرحلة معينة، أو في واقع معين، ما يجعل من إسقاطها على واقع آخر أمراً لا يخدم القضية من حيث عدم صلاحيته للتأثير فيه.

أوّلاً: لا بدّ من المحافظة على إحياء ذكرى عاشوراء في نمطها الشعبي التقليدي المعروف؛ لأنّ بساطة هذه الأنماط تؤمّن امتداداً أكبر للقضيّة الحسينية في الحاضر والمستقبل، وتجسّد حالًا تعبويّة شعبية تحقّق نتائج كبيرة إيجابية على مستوى إنتاج جمهور عاشوراء في كل زمان ومكان، ولعلّه هو الذي ضمن استمرارها في مدى ما يقارب الأربعة عشر قرناً من الزمن، وإنّ المساس بهذا الأمر من شأنه أن يعرّض القضيّة للضمور والاضمحلال في الوجدان العام للأمّة شيئاً فشيئاً.

ثانياً: مع ما ذكرناه أولًا فإنّ المحافظة على البُعد التقليدي للذكرى يتطلّب دراسة النمط التقليدي من أجل العمل على صيانته من الشوائب التي لا تنسجم مع المفاهيم الإسلامية الأصيلة على المستوى الفكري والأخلاقي والشرعي، على ضوء ما تقدّم بيانه سابقاً من ضرورة المزاوجة بين الجانب

الفكري والعاطفي.

ثالثاً: لا بدّ من دراسة كلّ الوسائل الشعبيّة المتّبعة في ذكرى عاشوراء على المستوى الشرعي، وذلك لأنّ بعض وسائل الإحياء - كالتطبير - هي محرّمة شرعاً، سواء بالعنوان الأوّلي أو من خلال العناوين الثانوية الطارئة، وفي هذا السياق نثير المسألة من عدّة جوانب:

١ - إنّ هذه الأمور ليست من الشعائر الدينية التي يحاول البعض أن يطبّق عليها قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[1]؛ لأنّ كون أمرٍ شعيرة من شعائر الله هو أمر توقيفيّ، بمعنى أنه لا بدّ أن يصدر بيان من الشريعة أنّه شعيرة، فما لم يرد من النبي أو الإمام ذلك لا يكون ثمة دليل على كونه من الشعائر، وقد ذكر السيّد الخوئي (ره) ذلك بقوله في ردّ على سؤال حول إدماء

(١) سورة الحجّ، الآية ٣٢.

الراس وما شاكله بقوله: «لم يرد نصّ بشعاريّته، فلا طريق إلى الحكم باستحبابه»[١].

٢ - أنّ التطبير وضرب الظهور بالسلاسل وما شاكلهما من الأمور المضرّة بالنفس، وهناك قسم من الفقهاء - ونحن منهم - يقولون بحرمة الإضرار بالنفس مطلقاً، سواء أدّى إلى التهلكة أو لم يؤدّ إليها، ولذلك فهو حرام بالعنوان الأوّلي، باعتباره مصداقاً للإضرار بالنفس.

٣ - أنّ عدم القول بحرمة الاضرار بالنفس إذا لم يؤدّ إلى التهلكة لا يعني جواز مثل هذه الأمور شرعاً، فإنّ بعض العناوين الثانوية قد تطرأ على الفعل المباح تجعل منه أمراً محرماً نتيجة لحرمة تلك العناوين الثانويّة، ولذلك نجد السيّد الخوئي (ره) يقول ردّاً على سؤال

(١) الخوئي، السيد أبو القاسم، المسائل الشرعيّة، ج٢، ص ٣٣٧، دار الزهراء، بيروت، لبنان.

بهذا الصدد: «لا يجوز فيما إذا أوجب ضرراً معتدّاً به، أو استلزم الهتك والتوهين والله العالم»، ثمّ يوضّح - في جواب آخر- أنّ المراد من الهتك والتوهين «ما يستلزم الذلّ والهوان للمذهب في نظر العرف السائد»[1].

وإذا كان بعض الناس قد يعترض على ذلك بأنّ الكافرين والمنافقين قد يسخرون من بعض الواجبات العباديّة أو غير العبادية مما لا يمكن الالتزام بحرمتها بلحاظ ذلك، فإنّ الجواب عنه بأنّ هناك فرقاً بين السخرية بالإسلام ذاته وبالأحكام الإلزاميّة الواجبة أو المحرّمة، وبالأفعال الواجبة أو المحرّمة، وبين السخرية بالمباحات أو المستحبّات التي ينطبق عليها عنوان ثانوي محرم يجعل المباح والمستحب حراماً أيضاً؛ إذ إنه لما كانت الاباحة والاستحباب يشتركان في عدم الإلزام بالنسبة للمكلف، فإن انطباق الحرمة على الفعل المباح أو المستحب يجعل الاباحة

(١) المصدر السابق، ص ٣٣٩.

والاستحباب يجمدان لصالح مفسدة الحرام في هذا المجال.

ولذلك فإنّ المشكلة تكمن في حديث الكثيرين عن الحكم الشرعي في مثل هذه الأمور من زاوية العناوين الذاتية الأولية[١] التي يختلف الموقف الفقهيّ تجاهها، في الوقت الذي لا بدّ من نقاشه من جوانب أخرى تتّصل بالعناوين العامّة للخط الإسلامي في نطاق مسألة المصلحة والمفسدة في هذا الموقف أو ذاك، مما يندرج تحت العناوين الثانوية.

٤- إذا أردنا أن نحلّل مسألة هذه العادات في عناصرها الفكرية بعيداً عن الجانب الشرعي، فإنّ الذين يمارسونها يقولون: نحن نواسي الحسين عليه السلام عندما نضرب رؤوسنا بالسيف؛ لأنّه ضُرب على رأسه بالسيف، ونواسي السيّدة زينب عليها السلام عندما نجلد

(١) كموضوع حرمة الاضرار بالنفس وحدوده.

ظهورنا بالسلاسل؛ لأنّها جلدت بالسياط، ولكن ذلك ليس من المواساة في شيء؛ لأنّ الحسين عليه السلام جُرح وهو يقاتل من أجل العدل والحقّ، ولم يضرب رأسه بالسيف، ومواساته تعني أن يُجرح الإنسان في الموقع الجهاديّ نفسه، وإن زينب عليها السلام جُلدت بالسياط وهي في خطّ القضيّة، ولم تجلد نفسها بعقل بارد.

إنّ هذه العادات هي عادات متخلّفة في التعبير عن الحزن، فللحزن تعابير حضاريّة إنسانيّة، وليس الحزن حركة تعذيب للذات، وإنّما هو حركة إنتاج لإنسانيّة الذات.

رابعاً: في موازاة الإحياء الشعبي التقليدي لا بدّ من العمل على الاستفادة من وسائل التعبير التي استحدثها العصر، كالمسرح والسينما وغيرهما، فإنّ ذلك يؤمّن لعاشوراء أن تنفتح على الإنسان المعاصر من موقع تجسيدها للقيم التي انطلقت منها، وتعميقها للمأساة التي تحرّكت فيها، واطلالتها على

الأجواء التي تنتجها، مما يعطي لعاشوراء بُعداً إنسانياً عالمياً إلى جانب بعدها الإسلاميّ الخاص.

وهذا أمرٌ طبيعيّ جداً؛ لأنّ أيّ فكرة لا بدّ لها من أن تدخل في الوجدان الإنسانيّ بالوسائل التي يمكن أن ينفتح عليها هذا الوجدان، حيث إنّ الإنسان يتربّى من خلال وسائل التواصل التي يعيشها في عصره، مما يجعل تلك الوسائل ذات قدرة على التأثير تفوق كثيراً في قدرة التأثير من الوسائل التقليدية الجامدة.

وهذا الأمر يتطلّب قدرات فنّية إبداعيّة على المستوى السينمائي أو التلفزيوني أو المسرحي، سواء في التأليف أو الإخراج أو في طبيعة الممثّلين، بشكل يحافظ فيه على الجوّ الإسلامي لعاشوراء، سواء في خطوطها الحركيّة أو في طبيعتها الدينية.

وفي رأينا أنّه ليس ثمّة مانع شرعي من تمثيل شخصيّات كربلاء، في عمل مسرحي

أو سينمائي أو غيرهما، بالنحو الذي يحافظ على حرمة الشخصيّة ومكانتها وقدسيّتها. كما أنّ من الممكن التصرّف في النصّ التمثيلي بما لا يتنافى مع مضمونه وروحيّته، ويؤدّي إلى إعطاء الفكرة حيويّتها الواقعيّة في شخصيّة صاحب النص، وذلك لأنّ طبيعة الإنتاج المسرحي أو السينمائي - إذا ما أريد له أن يؤدّي دوره في هذا المجال - تفترض آليّة أخرى لعرض الفكرة أو القضيّة بما لا يمكن معه الجمود عند ما ينقله التاريخ وحسب.

ونحن عندما نتحدّث عن هذا الأمر بهذه الكيفية فإنّما نتحدث عنه من ناحية المبدأ، في الوقت الذي يجب أن تتمّ دراسة التطبيق بالنحو الذي يضمن كلّ العناصر التي يمكن أن تحقّق للحدث التاريخي كلّ حيويّته وصدقيّته وكلّ ردود الفعل الإيجابيّة من خلاله، وفي ضوء هذا لا بدّ أن تكون هناك دراسة دقيقة لاختيار الممثّلين ورقابة مشدّدة على طبيعة الأداء.

وفي هذا الإطار نحن ندعو الكتّاب والمؤلّفين، كما نشدّد على الدعاة إلى الإسلام، أن لا ينطلقوا في عمليّة تجزيئيّة لشخصيّة الحسين عليه السلام؛ لأنّ الحسين عليه السلام كان إماماً للإسلام، وإمامته - فيما نعتقد - هي امتداد حركيّ للنبوّة، وقد عاشها عليه السلام دعوةً للإسلام، وتأصيلًا لمفاهيمه، بالكلمة والموقف، وعاشها حركةً في تقويم الانحراف الداخلي والخارجيّ، ومن الضروريّ أن تبرز كلّ ملامح الإمامة في شخصيّته في كلّ موقف وقفه، وكلّ حركة تحرّكها.. وعلى هذا الأساس نحن رفضنا كلّ موقف نقله التاريخ لا ينسجم مع خطّ الإسلام الأصيل ولا مع الموقع القيادي للإمامة، بقطع النظر عن تناقضها مع ما ينقله المؤرّخون أنفسهم من مواقفه الرائعة. وسنقف على هذا الأمر في حديثنا عن المضمون العاشورائي.

المضمون العاشورائي

أشرنا فيما سبق إلى ضرورة التنبّه لعنصر المضمون الذي يُطرح في عاشوراء، سواء على المستوى الشعبي التقليدي، أو من خلال بعض التجارب المتناثرة في الإنتاج المسرحي أو السينمائي أو التلفزيوني. وهذا الأمر ينبع من أنّ طبيعة الذهنية التي يعيشها قارئ العزاء أو الشاعر الحسيني أو المخرج أو كاتب السيناريو وما إلى ذلك قد تلعب دوراً في تشويه المفاهيم الأصيلة للقضية الحسينية، خصوصاً عندما يتمّ التغاضي عن الجانب الفكري لمصلحة الجانب العاطفي المأساوي الذي يطلب استنزاف الدمعة بأيّ طريقة. ونحاول في هذا المجال تقديم بعض النماذج

من هذه المفاهيم التي يقدّمها الخطباء للجمهور من حيث يشعرون أو لا يشعرون، نطرحها في عناوين:

١ - التصادم مع المفاهيم الإسلامية:

يستوقفنا - في هذا المجال - بيت من الشعر لقصيدة حسينية للسيّد حيدر الحلي (رحمه الله) وهو يستنهض فيها الإمام المهديّ (عج) فيقول:

واستأصلي حتى الرضيع
لآل حرب والرضيعة

حيث نجد أمامنا دعوةً صارخة مثيرةً لاستئصال بني أمّية، حتى الرضّع منهم ذكوراً وإناثاً. وهذا الأمر يمثّل مصادمة واضحة مع القيمة الإسلاميّة الإنسانيّة في خطّ العدالة التي جاء بها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1]، كما لا يتناسب مع

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.

السيرة الحسينية فيما تنقله أحاديثها من اللفتة الإنسانية لبعض الجنود في جيش بني أميّة وهو يواجه امتناع جيشه عن سقي الطفل الرضيع للحسين عليه السلام: «إن كان ذنبٌ للكبار فما ذنب هذا الطفل الرضيع؟!».

كيف يمكن أن يستمع الجمهور المسلم لمثل هذا النداء العدواني الصارخ - الذي تطلقه القصيدة - نحو الأطفال الذين لا ذنب لهم، ولا سيّما إذا كانوا من الرضّع، مما يزيد الإحساس الإنسانيّ شعوراً بالألم، في الوقت الذي تتحرّك فيه كلّ ذكرى عاشوراء من أجل إثارة المشاعر الإنسانيّة المضادّة لكل الواقع الذي صنع مأساة الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، حتى يتبلور الرفض الإسلامي لأمثال هذا الواقع، فيقف في مواجهة كلّ الذين يريدون أن يصنعوا مأساة الإنسان في الحاضر والمستقبل.

ونلتقي بنموذج آخر في قول الشاعر حاكياً عن لسان أهل البيت عليهم السلام:

سادة نحن والأنام عبيد
ولنا طارف العلى والتليد
وأبونا محمد سيّد الناس
وأجدر بولده أن يسودوا

إنّ هذا المفهوم - بظاهر الكلام - يتنافى والذهنية الإسلامية التي ترفض عبودية إنسان لإنسان، في عمق الخطّ الإسلامي، كما ترفض نظرة أيّ شخص لنفسه بهذا المقياس، وقد درج الأنبياء والأولياء على الابتعاد عن هذا الأسلوب في حديثهم عن الناس، كما درج القرآن على الحديث عنهم بغير هذه الطريقة. فلم نلاحظ في كلّ التراث الديني عموماً والإسلامي خصوصاً مثل هذا التعالي على الناس بحيث تكون النظرة إلى الناس أنّهم العبيد وهم السادة، في الوقت الذي نعرف فيه - من خلال الحقيقة الدينية - أنّهم الفئة المميّزة في الدرجات العليا عند الله بحيث يرتفعون عن الناس في قربهم إليه سبحانه، كما نعرف أن طاعتهم واجبة على الخلق من موقع رسالة الله التي يحملونها،

ولكنّ الطاعة شيء والعبوديّة شيء آخر؛ لأنّها - أي الطاعة - تلتقي بالمسؤولية لا بالتقويم الإنسانيّ.

وإذا كان الأسلوب الأدبيّ يبرر للإنسان أن يتواضع لإنسان آخر رفيع القدر ليقول له: إنّي عبدك، فإنّ التربية الإسلامية لا تتناسب مع كلام الشخص الكبير عن نفسه بهذه الطريقة، ولذلك فإنّ تصوير أهل البيت عليهم السلام للناس أنّهم يتحدّثون عن أنفسهم وعن الناس بهذا الأسلوب لا ينسجم مع روحيّاتهم الرفيعة في التواضع لله في علاقتهم بالناس.

٢ - تحجيم القضيّة الحسينية:

نلتقي - في هذا الإطار - بنماذج من الشعر الحسيني يتركّز فيها الحديث على إعطاء الصورة في الصراع في نطاق الدائرة العائلية، تماماً كما لو كانت المسألة مسألة نزاع عائليّ بين بني هاشم وبني أميّة على الطريقة التي أثارها أبو العلاء المعرّي في قوله:

عبد شمس قد اضرمت لبني
هاشم حرباً يشيب فيها الوليد
فابن حرب للمصطفى، وابن
هند لعلي، وللحسين يزيد

هذا نموذج من كثير من نماذج الشعر الحسيني - العامّي والفصيح - والذي لا يزالُ يُتلى في مجالس العزاء مما أدّى إلى تكوين ذهنية شعبية تستغرق في مشاعر العصبية للعائلة الهاشمية ضدّ العائلة الأمويّة بعيداً عمّا هي المسألة الإسلامية، حتى أنّ البعض يتصوّر الدين في المسألة كخصوصيّة من خصوصيّات العائلة، لا كحالة رساليّة تنفتح على الوعي الإسلامي لدى الإنسان المسلم وتلتقي برموز الإسلام وقياداته في ساحاتها، ليكون الارتباط من خلال الإسلام لا من خلال الخصوصية العائلية.

ولعلّ مثل هذا التأثير العاطفي الذي يتحوّل إلى تعصّب للعائلة قد ترك آثاره على حركة الوعي الشعبي السياسي في بعض المراحل

السياسية القلقة من حياة الأمّة، فقد لاحظنا أنّ بعض الملوك قد حصلوا على كثير من الدعم العاطفي لدى بعض علماء الدين والفئات الشعبية الطيّبة انطلاقاً من انتسابهم للعائلة الهاشمية، من دون أيّ تدقيق في التزامهم الإسلامي، ومن دون نظر إلى لونهم المذهبي في الساحة التي ترى للمذهبيّة معنى كبيراً في التقويم الفكري والعاطفي.. الأمر الذي أدّى إلى إرباك الواقع السياسي في أكثر من بلد إسلاميّ وسمح للخطط الإستعماريّة أن تأخذ مكانها فيها.

ونحن عندما نثير هذه المسألة لا نريد أن نجعل القضيّة الرسالية شيئاً يتحرّك في المطلق بعيداً عن الرمز؛ لأنّ للشخصيات القيادية خصوصيّة في عمق حركة الرسالة، الأمر الذي يفرض الارتباط العضوي بالقيادة فيما يمثّله الارتباط بالرسالة، لتكون العلاقة رسالية لا شخصية بحتة، وبذلك لا يبقى هناك دور للعائلة بعنوانها الكبير. ومن هنا فإن علاقتنا

باهل البيت عليهم السلام لا تنطلق من هاشميّتهم، بل تنطلق من رسالتهم، كما أنّ الهاشميّة لا تكتسب قداسة من خلال انتماء رموز القداسة الرسالية بالنحو الذي يجعل من كل هاشمي يقترب من القداسة حتى لو كان بعيداً عن قيمها.

إنّ التراث الأدبي من الشعر والنثر قد يحتاج إلى بعض الخيال، وإلى بعض اللفتات الفنّية في حركة العاطفة في المأساة وفي تأثير المأساة في الوعي الداخلي للإنسان المسلم، ولكنّ الخيال لا بدّ أن ينطلق في أجواء المضمون الذاتي للقضيّة، فلا يخلق لها أبعاداً بعيدة عنها، ولا ينتج لها فكراً يختلف عن فكرها، كما أنّ الجانب الفنّي - في لفتاته الإيحائية أو الإيمائيّة والتعبيرية - لا بدّ أن يعطي الفكرة بعضاً من معنى الجمال الحقيقي الذي تختزنه مفرداتها، فلا يفرض عليها جمالاً من خارج معناها، أو يمنحها خصوصيّة بعيدة عن خصوصيّاتها.

ولذلك فإنّنا ندعو إلى نتاج أدبيّ حسيني يتغذّى من المفردات[١] الإسلاميّة للحركة الحسينية فيما هو البعد الروحي والفكري والحركي للإمام الحسين عليه السلام، لتكون الذكرى في خدمة القضيّة من خلال الإيحاء المستمرّ بامتدادها في خطّ الزمن، لتكون الصورة البارزة هي أنّ عاشوراء هي المنطلق وليست النهاية، وبذلك فإنّها تريد أن تنتج جمهوراً جديداً لمفاهيمها في كلّ زمان ومكان من خلال تأكيد العناصر الحيّة فيها في وعي المستقبل الذي يطلّ على الإنسان في عملية تجدّد ونموّ واستمرار.

٣ - تشويه صورة النماذج العليا:

من خلال دراستنا لما تنقله كتب السيرة، مما اختلط به الصحيح بغير الصحيح عندما تمّ

---

(١) كما يتغذى بالمصطلحات الإسلامية التي تمثل مفاهيم الإسلام الاصيلة فيما تؤكده في معانيها.

إعطاء الأولويّة للجانب العاطفي على الجانب الواقعي في القضيّة الحسينيّة، نجد صياغة لصورة مشوّهة لرموز كربلاء، وخصوصاً فيما يتّصل بالإمام الحسين عليه السلام وبالسيّدة زينب عليها السلام. فهناك - على سبيل المثال لا الحصر - عدّة صور شعرية ونثرية تقدّم لنا صورة الحسين عليه السلام وهو يستغيث فلا يُغاث، ويستجير فلا يُجار، ويستسقي القوم جرعة من الماء فلا يُستجاب له، حتى تنتهي القصّة إلى اللحظات التي كان الإمام الحسين عليه السلام في حالة الاحتضار فشاهده شخص اسمه حميد بن مسلم فيلفت نظره أنّه يحرّك شفتيه، فيقول الرجل في نفسه: لو كان الحسين يدعو علينا هلكنا وربّ الكعبة، فيدنو منه فيسمعه يقول: «يا قوم اسقوني جرعة من الماء فقد تفتّت كبدي من الظمأ»، ويضيف بعض الرواة إلى ذلك قوله: «وحقّ جدّي إنّي لعطشان».

إنّها صورة من الصور التي توحي

بالضعف، ولا توحي بالقوة، مما لا يتناسب مع الصورة التي تمثّل فيها الإمام الحسين عليه السلام إنساناً كبيراً متمرّداً على كلّ نوازع الضعف وعناصر الألم في مواجهة القوى الضالّة الطاغية التي حشدت ضدّه كلّ تلك الجموع لتسقط موقفه، ولتهزّ ثباته، ولتدفعه بعيداً عن موقفه الصلب المميّز، ولتفرض عليه الخضوع لحكم يزيد، فرفض التراجع والتنازل والخضوع، وتحمّل كلّ النتائج القاسية من أجل أن يجسّد القيم الإنسانية الكبرى التي أرادها الله للإنسان في الحياة؛ لأنّ المسألة ليس مسألته الشخصية، بل هي مسألة الرسالة في تحدّياتها وفي حاجتها إلى التماسك والتوازن في المواقع الصعبة التي تزدحم في أعماقها الزلازل، وهذه المواقف تمثّلت فيما طرحه من شعارات، وفيما جسّده من مواقف، خصوصاً عندما ذبح ولده الرضيع، حيث تنقل السيرة أنّه قال: «هوّن ما نزل بي أنّه بعين الله».

إنّنا لا ننكر أنّ الإنسان - حتى لو كان نبيّاً أو إماماً - قد يخضع للضعف البشري في مضمون بشريّته، ولكنّ الحسين عليه السلام قد اتّخذ قراره في المواجهة الصعبة بعد دراسة طويلة عميقة لكل النتائج المترتّبة عليه، وعرف طبيعة الوحشية الهمجيّة المتمثّلة في عناصر الشخصية الطاغية لهؤلاء، ورأى في ساحة المعركة، كيف تتجسّد القسوة في مواقفه حتى بالنسبة للطفل الرضيع، فكيف يمكن أن يستغيث بهم ويطلب منهم جرعة من الماء في الوقت الذي كان جسده مثخناً بالجراح بأبشع الصور؟!.

إنّ الصورة الحقيقيّة للإمام الحسين عليه السلام هي تلك الصورة التي عبّر عنها أحد أعدائه من جيش يزيد: «فوالله ما رأيت مكثوراً قطّ قد قتل ولده وأهل بيته أربط جأشاً ولا أشدّ بأساً من الحسين، فلقد كانت الرجّالة تشدّ عليه فيشدّ عليها فتنكشف من بين يديه انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب».

وهكذا نقف عند صورة السيدة زينب عليها السلام، ولا سيّما في الشعر الشعبي، فلا نجد فيها صورة البطلة القوية المتحدّية التي وقفت في قوة وصلابة وثبات في مجلس ابن زياد لتتحدّى سلطانه، وفي مجتمع أهل الكوفة لتواجه انحرافهم وخذلانهم، وفي مجلس يزيد لتهاجم مواقعه، بل نجد صورة البدويّة التي تتحدّث بالأسلوب الضعيف الواهن الثاكل الذي يبحث عن العشيرة فلا يجدها، وعن النصير فلا يلتقي به، ويواجه القضية بلسان الدعوة إلى الثأر على الطريقة العشائرية.. إنّها صورة الضعيفة المنكوبة المسبيّة التي تعيش همّ آلامها وهمّ الأطفال والنسوة من حولها - على أهمية ذلك - دون أن تكون للقضيّة الكبرى أيّة انطلاقة في اهتماماتها، في الوقت الذي يؤكد فيه التاريخ أن زينب كان لها الدور الكبير في استمرار القضية في الوجدان، وحمل لوائها على أساس القيم الإسلامية والمبادئ الصافية الاصيلة.

وقد يخيّل لبعض الناس أنّ الحديث عن المأساة في خطّ القضية - حتى في مثل ما أثرناه - يمثّل لوناً من ألوان التعبئة النفسية ضدّ الذين صنعوا المأساة أو الذي يصنعون ما يماثلها، مما يحقّق للقضّية الكثير من عوامل القوّة في وعي الجماهير عندما تنفتح مشاعرهم على الثورة من خلالها. ونحن نقول: صحيح ذلك فيما أكدناه من أهمية العاطفة في عاشوراء إلا أن ذلك يفرض نوعاً من التوازن بين حركة العاطفة وصورة النموذج الأعلى للقضيّة فيما تتكامل فيه عناصر الثورة في خدمة القضيّة. ولذلك فإنّنا لا نرفض إثارة العاطفة فيما هي العناصر الحقيقية للمأساة، بل نرفض بعض المضمون الذي يبتعد بالمأساة عن جوّ القضيّة في مواقع القوّة والعنفوان، كما نرفض الأسلوب الذي لا تتناسب فيه الإيحاءات بين الجوّ والفكرة.

وفي ضوء ذلك فإنّنا ندعو إلى صياغة المضمون العاشورائي - سواء فيما يطرحه قرّاء العزاء أو ينتجه الشعراء وغيرهم من الكتاب - من خلال ملاحظة القضيّة الحسينية في أهدافها الكبيرة والذي يلاحق أحداثها من خلال النقد الواعي الذي يأخذ في حسابه كلّ الظروف المحيطة بها من شخصية البطل، ونوعية الانتصار، وطبيعة العدوّ، وصورة المرحلة، ليجتذب ذلك كلّه للواقع الذي تعيشه الأمّة في عملية إيحاء بالثورة وحركة للتغيير على أساس الإسلام، لنستطيع أن نحرّك الذكرى في امتداد الزمان، لتكون خيراً وبركة للحاضر والمستقبل، كما كانت بركة للماضي.

دراسة السيرة علمياً:

وفي هذا الإطار فلا بدّ من دراسة السيرة الحسينية دراسة علمية موضوعية؛ لأنّ ما بين أيدينا من كتب السيرة فيه الغثّ والسمين،

وهو يجمع في طياته بين المتناقضات، وما لا ينسجم مع طبيعة الأمور، وليس من الضروريّ أن يتمّ الجمود عند سند الرواية بالدقّة العلمية التي يؤخذ بها في الفقه، ولكن لا بدّ من دراسة الروايات في مضمونها من حيث طبيعة علاقتها بالواقع من حولها، حتى نستطيع أن نركّزها على أساس وقاعدة ثابتة.

ولا بدّ في الوقت نفسه من الرجوع إلى المصادر الموثوقة التي تعتبر الأساس في النقل التاريخي، ولا نغرق في كثير من الكتب التي زيد عليها بما لا ينسجم وقضيّة كربلاء، كما أن على الخطباء - وغيرهم - أن لا يبادروا إلى نقل ما لم يثبت بالدراسة والتأمّل لمجرّد إثارة العاطفة، فقد ورد في كلام الإمام جعفر الصادق عليه السلام وهو ينقد بعض أصحابه عندما كان يحاور بعض الناس: «تمزج الحقّ بالباطل، وقليل الحقّ يكفي من كثير الباطل»[1].

---

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد، ج٢، ص ١٩٩.

الفهرس

مقدمة ٥
لماذا الاستغراق في الماضي؟ ٩
حضاريّة إحياء التاريخ ١٠
عاشوراء ليست فئويّة ١٣
أسلمة عاشوراء ١٩
السياسة أساس في حركة الأديان ... ٢٤
العاطفة في عاشوراء ٢٧
ضرورة المحافظة على العاطفة ٢٨
الفكر إلى جنب العاطفة ٣١
تطوير أساليب إحياء الذكرى ٤٠
المضمون العاشورائي ٥٣

التصادم مع المفاهيم الإسلامية ٥٤
تحجيم القضية الحسينية ٥٧
تشويه صورة النماذج العليا ٦١
دراسة السيرة علمياً ٦٧

يا ظلال الإسلام في كربلاء لوني الحرف بابتهال الدماء
وأثيري التاريخ فينا. افتحي الروح على كل عزة وإباء
يشهق المجد عندها في انطلاق يلتقي بالجدود والآباء
ويضم الإيمان في روحه الحيرى امتدادا لثورة الشهداء

محمد حسين فضل الله

دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

بيروت ـ لبنان ـ حارة حريك ـ قرب مستشفى الساحل ـ هاتف: ٠٣/٧٥٥٢٠٠ ـ ٠١/٤٥٠٧٦٩
ص. ب ٢٥/١٥٨ الغبيري ـ Int: WWW. dar-almalak. com/Email: dam @ dar-almalak.com